دراسة لغوية ،ونحوية ،ودلالية في تركيب:
﴿هـل عسيتـم﴾ في القرآن الكريم

أ.م.د. علي رحيم هادي الحلو
م.د سالم جاري

المـقـدمـة

سحرتْ لغةُ القرآن الكريم وأسلوبُه العربَ حيث سمعوه ،وتلقوه ، وبهر عقولهم، وآستولى على أفئدتهم، فتحيّروا ما عساهم قائلون فيه ؟

ولما بدأ عصر التدوين ،وأخذ العلماء يتدبّرون القرآن الكريم من جوانب عدّة ، كان من ذلك بحثهم في ألفاظِه ،وتراكيبِه ،وتعبيراتِه ،وأسلوبِه ،والمعاني كلها ، ولا سيما الأحكام التي تضمنها.

وقد وجدنا في تركيب (هل عسيتُم) جدّةً تستحق أن يُوقَف عليها ؛ إذ لم نطلع – فيما اِطلعنا عليه من مراجع ومصادر – على بحث في هذا التركيب .

ولقد عدنا إلى أكثر كتب اللغة – من معجمات وكتب نحو وغيرها – ، وكتب معاني القرآن الكريم ،وتفاسيره ، وإعرابه ،وغيرها لتوثيق ما جاء به البحث .

وفي ترتيب البحث بدأنا بـ (هل) ،وبعدها (عسى) ؛ لسببين ، **الأول** : تقدم (هل) في تركيب (هل عسيتُم) . **والثاني** : كون (هل) حرفًا ، و (عسى) فعلا ؛ فبدأنا بالحرف ،وأتبعناه بالفعل .

وقسمنا البحث بعد هذه المقدمة على مباحث ثلاثة ، تناول الأول دراسة (هل) و (عسى) في اللغة والنحو. والمبحث الثاني عرض مواطن ورود (هل) و(عسى) ، وتحليل التركيب في أربع آيات .

وناقش المبحث الثالث دلالة تركيب (هل عسيتم) الذي ورد في موضعين من القرآن الكريم .

وجاءت الخاتمة بعد ذلك بأهم ما توصل إليه البحث من نتائج ، فثبت بالمراجع والمصادر.

اللهم نسألك التوفيق في قبول خدمتنا للغة القرآن الكريم ، فإنك نعم المولى ونعم المعين .

Abstract

A sincere research (Do you do) in the Holy Quran

The installation (Do you have) a Quranic installation and found it from the grandmother is worth his research I did not find anyone before me in his research has been installed in it verse 246 of Surah Al-Baqarah

: A different methods were paved for this structure, so it was appropriate for the race that it included.

The question came to show the lack of approach of the Israelites in the noble of Israel in the sons of honor fighting for the sake of God.

In verse 22 of Muhammad (peace be upon him and his family): A. The expression (Do you have) in the presentation of the subject of fighting in an expert style has interfered with the presentation method (if not) by the expression (did you) and the two methods overlap to show their article in downloading Surah on them.

2 - The expression "do you do" daily to the denial of their action, in the non-Imtalhm what they are ordered, but show them and look forward to approach the act of corruption in the land and cutting the uterus.

(B) The expression (do you have) in the two places came in the place of fighting for the sake of denying the truth of intentions intended by the letter of the two verses and the denial of their intentions and not to do some thing that makes them want to obey God and his satisfaction.

Dr. Ali Raheem Alhiloo

المبحث الأول

دلالة جزأي تركيب ﴿هـل عـسيتم﴾ في اللغة والنحو

أوّلا في اللغة

١ – **هل** : حرف استفهام في أصل وضعه ، وقد يخرج الآستفهام فيه إلى معانٍ عدّة .

قال الخليل : (هل : حقيقته : استفهام ،تقول : هل كان كذا ؟ وهل لك في كذا وكذا ؟)[١].

وقال الراغب : ((هل) حرف استخبار إما على سبيل الاستفهام ، وذلك لا يكون من الله عزّ وجلّ ، قال تعالى : ﴿قلْ هل عندكم من علمٍ فتُخرجوه لنا﴾ [الأنعام:١٤٨] . وإمّا على التقرير تنبيهًا ،أو تَبكِيتًا ،أو نَفيًا ،نحو قوله سبحانه : ﴿هل تُحِسّ منهم مِن أحدٍ أو تَسمعُ لهم رِكزًا﴾ [مريم:٩٨] .. هذا نفي .. وقوله جلّت قدرتُه : ﴿هل يَنظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغمام والملائكةُ﴾[البقرة:٣٢١٠] .. قيل ذلك تنبيه على قدرة الله ، وتخويفٌ من سطوته) [٢].

واستعمل القرآن الكريم حرف الآستفهام (هل) في (٩٤) أربعة وتسعين موضعًا ، وقد تنوعّت دلالة الآستفهام فيه بها ؛ وذلك بحسب السياق الذي ضمّه . وجاء في الدلالات التي أفادها في الآستعمال القرآني على وفق معانيه التي وضعت له في اللغة .

وقد خلط بعضهم بين معناها في الآستفهام الحقيقي ، وبين خروج الآستفهام فيها إلى أغراض بلاغية ، وهذا خلط بَيِّنٌ غلطُه، سنتاوله بالبحث – بعون الله – في بحثنا هذا .

٢ – **عسيتم** : **عسى** : فعلٌ ،قد استعملته اللغة مشتقًّا ،وجامدًا ،والمشتق كان بمعنى الشدّة والغلظة والكِبَر .نحو قولك : عسَا الرجل – يعسُو – عُسوةً ،إذا عَتا وأسنّ .وعَسَتِ اليدُ عُسُوًّا ، وعُسِيًّا ،إذا غلظت من

العمل . أما الجامد فكان أكثر استعمال (عسى) في اللغة ، بل لم يرد في القرآن الكريم إلا الجامد الدال على المقاربة والرجاء ، وذلك في (٣٠) ثلاثين موضعًا [٣]. منها تركيب (هل عسيتم) الذي جاء في موضعين الأول في الآية : ٢٤٦ من سورة البقرة ، والثاني في الآية : ٢٢ من سورة محمد (صلى الله عليه وآله) .

ولا بد من الوقوف عند فعلية (عسى) من عدمها، بمعنى أنّه تام أو ناقص ،ودلالة (عسى) في استعمالها في القرآن الكريم ، وهذا ما سنتبيّنه بعون الله في البحث .

قال الخليل : (عسا الشيخُ – يَعسُو عَسْوَةً ،وعَسِي – يَعْسَى – عَسًى ،إذا كَبِر ، قال رؤبة :

يَهـوُون عن أركانِ عِزٍّ أدْرَما عن صامِلٍ عاسٍ إذا ما اِصلَخْمَما

قوله :عن صامل ،أي: عن عزٍّ ،كأنّه جبل صامل ،أي: صُلْب . وعسا الليلُ :إذا اشتدت ظلمتُه، قال:

وأطعَن الليلَ إذا الليلُ عسا

أي : أظلم . وعَسِي النباتُ ، يَعسَى – عَسًى :إذا غلظ ، قال الراجز يصف راعيًا وإبلا :

فظل ينحاها ظماءًا خمسًا أسعف ضَرب قد عسا وقوّسا

و(عسى) في القرآن من الله واجبٌ ، كما قال في الفتح[٤]،وفي جمع يوسف وأبيه : عَسَيْت، وعَسِيت – بالفتح والكسر – ،وأهلُ النحو يقولون : هو فعلٌ ناقصٌ ، ونقصانُه أنّك لا تقول منه فَعل – يفعَل ،و(ليس) مثله ،ألا ترى أنّك تقول : لستُ ، ولا تقول : لاسَ – يَليس . وعسى في الناس بمنزلة (لعل) ،وهي كلمةٌ مطمعةٌ ،ويستعمل منه الفعلُ الماضي ، فيُقال : عسَيْت ، وعَسينا، وعَسَوا ، وعَسَيا ،وعَسَيْن – لغة – ،وأُميت ما سواه من وجوه الفعل . لا يُقال : يفعل ،ولا فاعل ، ولا مفعول) [٥].

وقال الأزهري : (وعسَى: من حروف المقاربة ،وفيه ترجٍّ وطمع . وهي من الله واجبٌ ،ومن العباد ظنٌّ، وقد قال الشاعر – فجعله يقينا – ، أنشده أبو عبيد :

ظنّ بهم كعسى ، وهم بتنوفةٍ يتناوبون جوائب الأمثال

وقال ابن كيسان : عسى من الله واجبٌ ،ومن العباد ظنٌّ ؛لأنّ العبد ليس له فيما تستقبل علم نافذ ،إلا بدلائل ما شاهد ،وقد يجوز أن تبطل الشواهد له على ما لم يكن ،فلا يكون ما يظنّ ، وقد اجتهد في عسى بأغلب الظن عليه ،وهو منتهى علمه فيما لم يقع ،والله تعالى علمه بما لم يكن كعلمه بما كان ، فلا يكون في خبره عسى إلا على علمه ،فهي واجبة من قِبَله على هذا ، وقد قال الشاعر حين انتهى بظنّه عند نفسه إلى حقيقة العلم ،فمثّله بعسى إذا كانت أغلب الظن، وأقواه ، فقال : ظنّي بهم كعسى ، وهم بتنوفةٍ يتنازعون جوائب الأمثال

وقال الليث : (عسى) يجري مجرى (لعلّ) : عسَيت ،وعسَينا ،وعَسَيتم ،وعَسَت للمرأة، وعَسَتا، وعَسَين، يتكلم بها على فعل ماضٍ، وأُميت ما سواه من وجوه فعله .. وقال الله جلّ وعزّ : ﴿فهل عسَيْتُم إنْ توليتُم أنْ تفسدوا في الأرض﴾ [محمد:٢٢] ، اتفق القراء أجمعون على فتح (السين) من قوله (عسيتم) ،إلا ما جاءعن نافع أنّه كان يقرأ : (فهل عسِيتم) بكسر(السين) .. على أن الصواب قوله (عسيتم) فتح (السين)) [٦].

وقال ابن فارس : (فأما (عسى) فكلمة ترجٍّ ،تقول :عسى يكون كذا . وهي تدلّ على قربٍ ، وإمكان . وأهل العلم يقولون : عسى من الله تعالى واجبٌ ، في مثل قوله : ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجعَل بينكم وبين الذين عاديتُم منهم مَوَدَّةً﴾ [الممتحنة:٧]) [٧].

وقال الجوهري : (و(عسى) من أفعال المقاربة، وفيه طمعٌ وإشفاقٌ ،ولا يتصرّف ؛لأنّه وقع بلفظ الماضي لما جاء في الحال ،.ولا يكون خبره اسمًا ،لا يقال : عسى زيدٌ منطلقًا .وأما قولهم : (عسى الغويرُ أبؤسًا) فشاذ نادرٌ ،وضع (أبؤسًا) موضع الخبر، وقد يأتي في الأمثال ما لا يأتي في غيرها. وربّما شبّهوا (عسى) بـ(كاد) ،وآستعملوا الفعل بعده بغير (أنْ)،فقالوا: عسى زيدٌ ينطلق، قال الشاعر :

عسى اللهُ يُغني عن بلادِ ابن قادرٍ بمنهَمرٍ جَوْنِ الربابِ سَكوبِ) [٨].

وذهب الراغب مذهبًا طيبًا في توجيه استعمال (عسى) ودلالتها في القرآن الكريم ،فقال: (عسى: طَمِعَ وتَرَجَّى،وكثيرٌ من المفسرين فسَّروا (لعلّ) و (عسى) في القرآن باللازم ،وقالوا :إنّ الطمع والرّجاء لا يَصحّ من الله ، وفي هذا منهم قُصور نظر ؛ وذلك أنّ الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكرُه ليكون الإنسانُ منه راجيًا ، لا لأن يكون هو تعالى يرجو ،فقوله تعالى : ﴿عسى ربُّكم أنْ يُهلِكَ عدُوَّكم﴾ [الأعراف:١٢٩] ، أي : كونوا راجين في ذلك) [٩].

ما ذهب إليه الراغب توجيهٌ حسنٌ ؛ لكنه غفل السياق الذي ضمّ (عسى) ؛ إذ لا يمكن حمل دلالة (عسى) على ترجٍ من الإنسان ، نحو قوله تعالى : ﴿لا يسخرْ قومٌ من قومٍ عسى أنْ يكونوا خيرًا منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أنْ يكُنَّ خيرًا منهنّ﴾ [الحجرات:١١] ،فهنا تكون دلالة الإشفاق والمقاربة أدلّ على معنى (عسى) .

وذهب المصطفوي مذهب الكوفيين في (عسى) ،فقال : (ولا يخفى أنّ كلمة (عسى) من أفعال المقاربة ،ليس لها معنًى آخر سوى هذا الأصل ، وما يذكر في كتب النحو فموهونٌ جدًّا .

فكلمة (عسى) فعلٌ تامٌّ ،ولا يستعمل ناقصًا في مورد ،والآسم المذكور بعده فاعله، والفعل المذكور بعد الفاعل بدلٌ عنه ،يصحّ أن يقع في محلّه ،فيقال : عسى زيدٌ أن يكتب ،عسى أن يكتب ،عسى كتابته ،أي: قوي ،وقرب أن يكتب .

وعلى هذا لا فرق أن يكون الفاعل هو الله تعالى أو غيره ،فلا حاجة إلى تكلّف التأويل فيما ينسب إلى الله تعالى .

فهذه الكلمة فعلٌ متصرّفٌ لازم ،يستعمل منه سائر مشتقاته إذا مست الحاجة إليها[١٠] .

وأما استعماله مع الفعل المقترن بحرف (أن) فذلك بمقتضى مفهومه وهو القرب من الفعلية . وليس لنا إلزام وضرورة في القول بأنه من أفعال المقاربة ،وأنّه لازم أن يشترك في الأحكام سائر خواته ، فإن هذه العنوانات والأحكام أقاويل حادثة مخترعة خالية عن التحقيق .. قال تعالى :

﴿عسى الله أن يكف بأس الذين﴾[النساء:٨٤].وقال سبحانه : ﴿ عسى الله أن يأتي بالفتح عسى﴾ [المائدة:٥٢] .وقال عزّ وجلّ : ﴿عسى ربُّكم أنْ يُهلِك عَدُوَّكم﴾ [التوبة:١٢٩] .. والجملة في هذه

الآيات – وأمثالها – بدل عن الفاعل،وهو الرب أو الله؛ أي: قوي اقتراب [١١] حصول هذه الأمور من جانب الله تعالى . فليس عسى في هذه الموارد بمعنى الترجي ، والطمع ، والخوف ، وغيرها .

وأما التعبير بالبدلية فإنها توجب تحكيم الأمر والإيقاع في النفوس ، كما يصرح بها الكوفيون من النحويين ،وإذا كان النظر إلى مُجرّد قرب ذلك الأمر من دون خصوصيّة أخرى : يعبّر من دون بدلية كما في الآيات السابقة ﴿عسى أنْ تكرهوا شيئًا﴾ : فإن النظر فيها إلى نفس الكراهة منهم من حيث هي ، ومن دون خصوصيّة أخرى) [١٢].

ثانيًا في النحو

١ – **هل**: حرف استفهام ، يدخل على القبيلين : الجملة الآسمية ، والجملة الفعلية، ويجاب بـ(نعم) .وثمة فوارقُ في استعمالها مَيَّزتْها عن (همزة الآستفهام) .

قال سيبويه : (هل : للآستفهام ،وحروف الآستفهام لا يليها إلا الفعل[١٣] ،إلا أنهم قد توسعوا فيها، فابتدأوا بعدها الأسماء ، والأصلُ غير ذلك) [١٤].

وقال : (وكذلك (هل) تكون بمنزلة (قد)) [١٥].

نلحظ أنّ سيبويه ذكر معنى من معاني(هل) ، وهذا المعنى لا يناقض إفادة الآستفهام بها التقرير ،أو غيره من الأغراض التي تُستفاد من الآستفهام بها ،أو بغيرها .

أما أن تكون هي (قد) ذاتها،والتي تفيد تقريب حدث الماضي إلى الحال ،وتَحَقُّق وقوعه ، أو أن تجعل المضارع بعدها محتمل الوقوع ، فلا يمكن القول به ؛ وذلك أن كلّ حرف قد وُضع ليفيد دلالة معيّنة ، ولا نسلم بالقول بتعاور الحروف في الآستعمال ،ولا سيما في القرآن الكريم.

نعم قد يُفهم معنًى لحرفٍ ما هو غير ما وُضِع له ، ولكن بشرط القرائن الدلالية والسياقية ، ويكون ذلك المعنى المفهوم من استعمال ذلك الحرف خروجًا إلى غرضٍ مجازًا لا حقيقة .

وقال المرادي : (هل : حرف استفهام يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق المُوجَب، لا غير .. والأصل في (هل) أن تكون للآستفهام ..وقد ترد لمعانٍ أُخر) [١٦].

قصد المرادي بمعاني (هل) خروج الآستفهام إلى أغراض مجازية ،كما ذكر ذلك علماء البلاغة[١٧]. ولا أحسب أنّ (هل) تحتمل تلك المعاني ، بل كل ذلك ما يقرره السياق .

وقال سعد الدين التفتازاني : (وهل لطلب التصديق فحسب ، وتدخل على الجملتين .. و(هل) تخصص المضارع للآستقبال) [١٨].

٢ – **عسى**: فعل ماضٍ جامد ، جاء ناقصًا ،وتامًا ،ولم يرد متصرفًا بهذه الدلالة .

ذكر سيبويه أنّ دلالة (عسى) : (هي للطمع والإشفاق) [١٩].

وبيّن سيبويه إعراب الضمير بعد (عسَى) ، فقال : (وأما قولهم : عساك فـ(الكاف) منصوبة ، قال الراجز (رؤبة) :

يا أبتا عَلَّك أو عساكا

والدليل على أنّها منصوبة أنّك إذا عنيت نفسك كانت علامتك (ني) قال عمران بن حطان :

ولي نفسٌ أقولُ لها إذا ما تُنازِعُني لَعَلّى أو عَساني

فلو كانت الكاف مجرورة لقال : عساي ، ولكنهم جعلوها بمنزلة (لعل) في هذا الموضع .

فهذان الحرفان لهما في الإضمار هذا الحال .. ولا تقلْ وافقَ الرفعُ النصبَ في (عساني) ،كما وافق النصبُ الجرَّ في : ضَرْبَك ومعك ؛ لأنهما مختلفان إذا أضفتَ إلى نفسك ..

وزعم ناسٌ أنّ (الياء) في (لولاي) ،و: (عساني) في موضع رفع ؛ جعلوا (لولاي) موافقة للجر، و:(ني) موافقةً للنصب ، كما اتفق الجر والنّصبُ في (الهاء) ، و: (الكاف)) [٢٠]. ۞

وذهب سيبويه إلى جعل (عسَى) فعلاً تامًّا ،وناقصًا ، فقال : (وتقول : عَسَيتَ أن تفعل، فـ(أن) ها هنا بمنزلتها في قولك : قاربتَ أن تفعل ، أي : قاربتَ ذلك ،وبمنزلة : دنوتَ أن تفعل ..

ولا يستعملون المصدر هنا ، كما لم يستعملوا الاسمَ الذي الفعلُ في موضعه ، كقولك : اِذهب بذي تسلمْ .ولا يقولون : عسيتَ الفعلَ ، ولا : عسيتَ للفعل .

وتقول : عسى أن يفعل ، وعسى أن يفعلوا ، وعسى أن يفعلا و(عسى) محمولة عليها (أن)، كما تقول :دنا أن يفعلوا ، وكما قالوا : اخلولقت (السماءُ) أن تَمْطِر ، وكل ذلك تكلم به عامة العرب .

وكينونة (عسى) للواحد ،والجميع ،والمؤنث ،تدلك على ذلك . ومن العرب مَن يقول: عسَى، وعَسَيا ،وعسَوا ،وعسَتْ ،وعسَتا ،وعَسَيْنَ .فمن قال ذلك كانت (أن) فيهن بمنزلتها في عَسَيتُ، في إنها منصوبة .

وآعلم أنّهم لم يستعلموا :عسَى فعلُك ، استغنوا بـ(أن تفعل) عن ذلك ،كما استغنى أكثرُ العرب بـ(عسى) عن أن يقولوا : عَسَيا ،وعَسَوا .. ومع هذا أنهم لم يستعملوا المصدر في هذا الباب ، كما لم يستعملوا الاسم الذي في موضعه : يَفعَلُ ، في (عسى) و(كاد) ، فترك هذا ؛ لأن من كلامهم الاستغناء بالشيء عن الشيء .

وآعلم أنّ مِن العرب مَن يقول : عَسَى يَفعَلُ ،يشبِّهها بـ : كاد يفعل ، فـ(يفعل) حينئذ في موضع الاسم المنصوب في قوله : (عسى الغويرُ أبؤسًا) ، فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه (عسى) مجرى (كان) ، قال هُدبةُ :

عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه يكونُ وراءَه فرجٌ قريبُ

وقال :

عسى اللهُ يُغني عن بلادِ ابنِ قادرٍ بمُنْهَمِرٍ جَونِ الربابِ سَكوبِ

وقال :

فإما كَيِّسٌ فنَجا ، ولكنْ عسَى يَغْتَرُّ بي حَمِقٌ لئيمُ

ومثله : جعل يقول ، لا تذكر الاسم ههنا ،ومثله : أخذ يقول ، فالفعل ههنا بمنزلة الفعل في (كان) إذا قلت : كان يقول ،وهو في موضع اسم منصوب ..

وقد جاء في الشعر: كاد أن يفعل ، شبهوه بـ(عسى) ، قال رؤبة :

قد كاد من طولِ البِلَى أن يَمْصحا

وقد يجوز في الشعر أيضًا : لعلى أن أفعل ، بمنزلة : عسيت أن أفعل ..

وقد يجوز: يوشكُ يجيءُ ، بمنزلة : عسى يجيء ،وقال أُميّة بن أبي الصَّلت :

يوشك مَن فَرَّ من مَنِـيَّـتِه في بعض غِـرّاتِه يُـوافقُها

وهذه الحروف لتقريب الأمور شبيهةٌ بعضُها ببعض،ولها نحوٌ ليس لغيرها من الأفعال) (٢١).

ونقل الرضي قول ابن الحاجب ، وذلك قوله : (قال ابن الحاجب : أفعال المقاربة ما وضع لدنُوِّ الخبر رجاءًا ،أو حصولاً ،أو أخذًا فيه) .

وبيّن الرضي ذلك ،فقال : (الذي أرى أنّ (عسَى) ليس من أفعال المقاربة ؛ إذ هو طَمَع في حقِّ غيره تعالى، وإنّما يكون الطمع فيما ليس الطامعُ على وثوقٍ من حصوله ،فكيف يحكم بدنوِّ ما لا يوثق بحصوله ؟ ولا يجوز أن يقال : إنّ معناه رجاء دنوّ الخبر ،كما هو مفهومٌ من كلام الجزولي والمصنف ،أي: أنّ الطامع يطمع في دنوِّ مضمون خبره .كقولك : عسى الله أن يشفي مريضي. أي: إني أرجو قربَ شفائه؛ وذلك لأنّ (عسى) ليس متعيِّنًا بالوضع للطمع في دنوّ مضمون خبره ،بل لطمع حصول مضمونه مطلقًا ،سواء ترجَّى حصوله عن قريب ،أو بعد مدة مديدة ..).

ونقل الرضي مزيدَ قولٍ لآبن الحاجب في (عسى) ،وهو قوله : (عسَى : وهو غير متصرف ، تقول : عسى زيد أن يخرج ،وعسى أن يخرج زيد .وقد تحذف (أن))..

وعلّق الرضي على ذلك ،فقال : (عسى : الذي لرجاء مضمون الخبر ،قال سيبويه : عسى ، طمع وإشفاق .فالطمع في المحبوب ، والإشفاق في المكروه ، نحو : عسيت أن تموت . ومعنى الإشفاق : الخوف .

وإنّما لم يُتَصَرَّف في (عسى) ،بل لم يأت منه إلا الماضي ؛ لتضمنه معنى الحرف ،أي:إنشاء الطمع والرجاء، كلعلّ ، والإنشاءات – في الأغلب – من معاني الحروف ، والحروف لا يُتصَرّف فيها .. وزعم الزجاج أنّ (عسى) حرف ؛ لما رأى من عدم تصرفه ، وكونه بمعنى (لعل) ،غير أنّ اِتصال المرفوع به يدفع ذلك ..

وقوله : عسى زيد أن يخرج ، المتأخرون على أنّ (عسى) يرفع الآسم ،وينصب الخبر، ككان ، والمقرون بـ(أن) بعد اسمه منصوب المحل بأنّه خبره ، استدلالا بالمثل النادر قول الزباء : عسى الغويرُ أبؤسًا . وقوله :

أكثرت في العَذْل مُلِحًّا دائمًا لا تكثِرَنْ إني عسيت صائمًا

ونقل عن سيبويه منع كون (أن يفعل) خبره ، قيل إنّما قال ذلك ؛ لأن الحدث لا يكون خبرًا عن الجثة ،وقوله : أبؤسًا ، وصائمًا ؛ لتضمن (عسى) معنى (كان) ، فأجرى في الاستعمال مجراه ، عذر مَن جعله خبرًا أن يقدِّر مضافًا ،إما في الآسم نحو : عسى حال زيد أن يخرج ، أو في الخبر: عسى زيد صاحب أن يخرج .

قال أبو علي في القصريات : عسى زيد أن يقوم ، أي : عسى زيد ذا قيام ، وفي هذا العذر تكلف ،إذ لم يظهر هذا المضاف إلى اللفظ أبدًا ،لا في الاسم ، ولا في الخبر ، وقال بعضهم :

(أن) زائدة ، وفيه أيضًا نظر ؛ لأن الزائد لا يلزم إلا مع بعض الكلم ..

وقيل : المقترن بـ(أن) مشبه بالمفعول به ، وليس بخبر، كخبر (كان) حتى يلزم كون الحدث خبرًا عن الجثة ؛ وذلك لأنّ المعنى الأصلي : قارب زيد أن يخرج ،أي الخروج ، ثم تغيَّر معنى الكلام عن ذلك الأصل ، بإفادة (عسى) لإنشاء الطمع ..

وقالوا : أصل معنى : عسى أن يخرج زيد ، قرب أن يخرج زيد، أي : خروج زيد ، فهو في الاستعمال الأول كالفعل المتعدي ، وفي الثاني كاللازم . وفيه أيضًا نظر؛ إذ لم يثبت في (عسى) معنى المقاربة وضعًا ، ولا استعمالاً كما مر قبل .

وقال الكوفيون : إنّ (أن يفعل) في محل الرفع ، بدلاً مما قبله ، بدل الاشتمال ،كقوله تعالى : ﴿لا يَنهاكم اللهُ عن الذين لم يُقاتلوكم﴾ إلى قوله : ﴿أنْ تَبرُّوهم﴾ [الممتحنة:٨]،أي :لا ينهاكم عن أن تبروهم [٢٢].

ويظهر أنّ هذا وجه قريب فيكون في نحو: يا زيدون عسى أن تقدموا ، قد جاء بما كان بدلاً من الفاعل مكان الفاعل ، والمعنى – أيضًا – يساعد ما ذهبوا إليه ؛ لأن (عسى) بمعنى: يُتَوَقَّع، فمعنى : عسى زيد أن يقوم ، أي :يُتوقع ، ويُرجى قيامه ،وإنما غلب فيه بدل الاشتمال؛ لأن فيه إجمالاً ،ثم تفصيلاً .. وفي إبهام الشيء ثم تفسيره وقع عظيم لذلك الشيء في النفس ..

وأما : عسيت صائمًا ، وعسى الغوير أبؤسًا فشاذان ،وقال بعضهم التقدير: عسى الغوير أن يكون أبؤسًا ،وعسيت أن كون صائمًا . وجاز حذف (أن) مع الفعل – مع كونها حرفًا مصدريًا– لقوة الدلالة ؛ وذلك لكثرة وقوع (أن) بعد مرفوع (عسى) ،فهو كحذف المصدر، وإبقاء معموله..

قوله : عسى أن يخرج زيد ، اعلم أنّ مَن ذهب إلى أنّ (أن) مع الفعل في : عسى زيد أن يخرج، خبر (عسى) جاز أن يقول في : عسى أن يخرج زيد ،أنّه خبر أيضًا ،وهو من باب التنازع ..

وقوله تعالى : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ [الإسراء:٧٩] ، لو جعلنا الفعلين متنازعين في (ربك) لم يجز إعمال الأول،أعني(عسى)؛ لكون (ربك) – وهو أجنبي – فاصلاً بين بعض الصلة وبعض. وقوله تعالى : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا﴾ يجوز أن يكون الفعلان متنازعين في (شيئًا) [٢٣]، وقد أُعمل الثاني ،وأن يكون (أن تكرهوا) فاعل (عسى) ،كما في قوله تعالى :

﴿عسى أنْ يكونوا خيرًا منهم﴾، و : ﴿عسى أنْ يَكُنّ خيرًا مِنهُنّ﴾ [الحجرات:١١] . وقوله تعالى : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا﴾ يجوز أن يكون الفعلان متنازعين في (شيئًا) [٢٤]، وقد أُعمل الثاني ،وأن يكون (أن تكرهوا) فاعل (عسى) ،كما في قوله تعالى : ﴿عسى أنْ يكونوا خيرًا منهم﴾، و : ﴿عسى أنْ يَكُنّ خيرًا مِنهُنّ﴾ [الحجرات:١١] .

وأما نحو: الزيدان عسى أن يقوما، والزيدون عسى أن يقوموا، فإن فاعل (عسى) قول واحد .

ولا يضمر في (عسى) ضميرُ الشأن ؛لأنّه ليس من نواسخ الابتداء ،كما كان (كاد) منها) [٢٥].

وقال الرازي في دلالة (عسى) – وهو يفسر الآية : ٢٢ من سورة محمد (صلى الله عليه وآله): (في استعمال (عسى) ثلاثة مذاهب ، **أحدها** : الإتيان بها على صورة فعل ماضٍ ، معه فاعل، تقول : عسى زيدٌ

،وعسينا .. **والثاني** : أن يُؤتَى بها على صورة فعل مع مفعول، تقول: عساه، وعساهما ،وعساك، وعساكما، وعساي ،وعسانا . **والثالث** :الإتيان بها من غير أن يقرن بها شيء، تقول :عسى زيد يخرج ،وعسى أنت تخرج ،وعسى أنا أخرج .والكلُّ له وجهٌ ،وما عليه كلام الله أوجه ؛ وذلك لأن (عسى) من الأفعال الجامدة ،وآقتران الفاعل بالفعل أولى من اِقتران المفعول ؛ لأن الفاعل كالجزء من الفعل .. ولأنّ كل فعل له فاعل ، سواء كان لازمًا ،أو متعديًا، ولا كذلك المفعول به) [٢٦].

وجاء في ألفية ابن مالك قوله في (عسى) :

(ككان كاد وعسى ، لكن ندر غيرُ مضارعٍ لهذين خبر
وكونه بدون (أنْ) بعد عسى نَزْرٌ ،وكاد الأمرُ فيه عُكِسا
بعد (عسى) اِخلولق ،أوشك قد يردْ غِنًى بـ(أن يفعل) عن ثانٍ فُقِد
وجَرِّدَن (عسى) ،أو اِرْفَع مُضمَرًا بها ، إذا اِسمٌ قبلها قد ذُكِرا) [٢٧]

ما ضمّنه ابن مالك أبياته المذكورة قبلُ – من ألفيته – هو رأي النحاة في (عسى) الجامدة ناقصة وتامة ، وهو لم يزد على ما قرره النحاة قبله .

وقال ابن هشام : (عسى : فعلٌ مطلقًا ،لا حرف مطلقا ،خلافًا لآبن السراج وثعلب ،ولا حين يتصل بالضمير المنصوب ..خلافًا لسيبويه ،حكاه عنه السيرافي ،ومعناه الترجِّي في المحبوب ، والإشفاق في المكروه ،وقد اِجتمعا في قوله تعالى : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تُحِبُّوا شيئًا وهو شرٌّ لكم﴾[البقرة:٢١٦] .

وتستعمل على أوجه : **الآستعمال الأول** : أن يقال : عسى زيدٌ أن يقوم ،وآختُلِف في إعرابه على أقوال : أ – قول الجمهور :أنه مثل : كان زيد يقوم .وآستشكل بأنّ الخبر في تأويل المصدر ، والمُخبَر عنه ذات،ولا يكون الحدثُ عينَ الذات[٢٨].. ب – أنّها فعلٌ متعدٍّ بمنزلة (قارب) معنًى وعملاً . أو قاصرٌ بمنزلة : قرب من أن يفعل،وحُذِف الجارُّ توسّعًا ،وهذا مذهب سيبويه والمبرد.

ج – أنّها فعلٌ قاصرٌ بمنزلة (قرُب) ،و(أن) و(الفعل) بدلُ اِشتمال من فاعلها،وهو مذهب الكوفيين. د – أنّها فعلٌ ناقص – كما يقول الجمهور –،و(أن) و(الفعل) بدل اشتمال .. وأنّ هذا البدل سدّ مسدّ الجزأين ..

الآستعمال الثاني : أن تسند إلى (أن)،و(الفعل) ،فتكون فعلا تامًّا .هذا هو المفهوم من كلامهم . وقال ابن مالك : عندي أنّها ناقصة أبدًا[٢٩] ،ولكن سدّت (أن) وصلتها في هذه الحالة مسدّ الجزأين .. **الآستعمال الثالث والرابع والخامس** : أن يأتي بعدها (المضارع المجرد) ،أو المقرون بـ(السين) ، أو الآسم المفرد [٣٠].. **والسادس** : أن يقال : عساي ،وعساك ،وعساه[٣١]) [٣٢].

المبحث الثاني

مواضع ورود (هل) ، و(عسى) في القرآن الكريم ، ونوعهما ،ودلالتهما

أولاً : مواضع ورود (هل) في القرآن الكريم ، ونوعها ،ودلالتها

مرّ قبلُ القول إنّ (هل) وردت في القرآن الكريم (٩٤) أربعًا وتسعين مرّةً ،وقد تلاها الفعل الماضي[٣٣]، نحو قوله تعالى : ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم﴾ [الأعراف:٤٤] ،وتلاها الفعل المضارع، نحو قوله سبحانه : ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ [الأنعام:٥٠]، وتلاها المضارع ،وكذا وردت (إلا) بعدهما، نحو قوله عزّ وجلّ : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيَهم اللهُ في ظُلَلٍ من الغَمامِ والملائكةُ﴾ [البقرة:٢١٠] .

وتلتها الجملة الآسمية – خلافا لمذهب سيبويه – ، وتنوّعت الجملة الآسميةُ بعدها ،وذلك من حيثُ ترتيبُها ،ومن حيثُ توكيدُها بحرف الجر (مِن) – دون أخواتها أدوات الآستفهام – ، إلى غير ذلك من أساليب التعبير[٣٤]،نحو قوله جلّ في علاه : ﴿فهل أنتم مُنتَهون﴾ [المائدة:٩١] . وقوله عظمت آلاؤه : ﴿يقولون هل لنا من الأمر مِن شيءٍ﴾ [آل عمران:١٥٤] . وقوله جلّ في عُلاه : ﴿فنَقَّبوا في البلادِ هل مِن مَحيصٍ﴾ [ق:٣٦] . وقوله تبارك اسمه : ﴿هل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ﴾ [الرحمن:٦٠] .

والغريب أنّ الآستفهام بها في القرآن الكريم خرج – في أغلبه – إلى أغراضٍ بلاغية مختلفة ، وأحسب أنّ هذا هو المسوّغ الذي جعل قسمًا من العلماء يتجوّز فيقول :إنّ (هل) بمعنى : قد ، أو: إنّ، أو: لا ..إلخ ، والصواب القول :إنّها على بابها في الآستفهام الحقيقي – المراد به جوابًا –،أو المجازي الذي خرج بها لأغراضٍ شتَّى ، من ذلك قوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب هل تَنقِمون منّا إلا أن آمنّا باللهِ وما أُنزل إلينا مِن قبلُ﴾ [المائدة:٥٩] ،ومذهب الجمهور أنّ (هل) هنا للنفي والإنكار،والجحد . وقال جلّ وعزّ : ﴿هل أتاك حديث موسَى﴾ [طه:٩] الجمهور يجعلون (هل) هنا بمعنى (قد) . وقوله جلّت أسماؤه : ﴿فهل لنا مِن شُفَعاءَ فيشفعوا لنا﴾ [الأعراف:٥٣] ،ذهب العلماءُ إلى أنّ دلالة (هل) هنا هي : التمني . وقوله تعالى : ﴿فهل أنتم مُسلمون﴾ [هود:١٤] . وقوله تباركت أسماؤه : ﴿قال له موسى هل أتّبعُك على أنْ تُعلِّمَني مما عُلِّمتَ رشدا﴾ [الكهف:٦٦]، يذهب العلماءُ إلى أنّ (هل) هنا بمعنى : الأمر. وقوله عظمت قدرته : ﴿قال هل علمتم ما فعلتُم بيوسف وأخيه مِن قبلُ﴾ [يوسف:٨٩] ،والذي عليه العلماء في دلالة (هل) هنا أنّها : أفادت التوبيخ والتقريع ،واللوم . وقوله وهو خير القائلين : ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم﴾ [الصف:١٠] ،الذي يُفهم أن الآستفهام هنا قصد به معنى التشويق .وقوله جلّت عظمتُه : ﴿قل هل مِن شركائِكم مَن يَبدأُ الخلقَ ثم يُعيدُه﴾ [يونس:٣٤] ، يذهب العلماء إلى أنّ الآستفهام هنا أُريد به التقرير .. إلى غير ذلك من الأمثلة القرآنية التي تفيد أنّ (هل) على بابها في الآستفهام ، ولكن الآستفهام بها خرج مجازًا بها إلى أغراضٍ بلاغية مختلفة يقررها السياق كما ذكرنا ذلك قبلُ .

ثانيًا : مواضع ورود (عسى) في القرآن الكريم ، ونوعها ،ودلالتها

مرّ قبلُ أنّ (عسى) وردت في (٣٠) ثلاثين موضعًا من القرآن الكريم ، وموضعان منها جاء تركيب (هل عسيتم) . والذي ظهر في البحث أنّ (عسى) وردت مع الفاعل المصدر المؤول من (أن) و(الفعل) حسب في (١٤) أربعة عشر موضعًا [٣٤] ، نحو قوله تعالى : ﴿وعسى أنْ تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أنْ تُحبُّوا شيئًا وهو شرٌّ لكم﴾ [البقرة:٢١٦].وتعدّ (عسَى) في هذا التركيب فعلا تامًّا ، وذلك على رأي الجمهور .

قال الطبري : (يعني بذلك جلّ ثناؤه :ولا تكرهوا القتال ؛ فإنّكم لعلّكم أن تكرهوه ، وهو خيرٌ لكم، ولا تحبوا ترك الجهاد فلعلّكم أن تحبوه ،وهو شرٌّ لكم) [٣٥].

نلحظ أنّ الطبري فسر (عسى) بـ(لعل) ، بمعنى الترجي حسب ،وما ذهب إليه فيه نظر .

وقال الرازي في معنى (عسى) هنا : (﴿عسى﴾ : فعلٌ درج مضارعه ،وبقي ماضيه .. ويرتفع الآسم بعده ،كما يرتفع بعد الفعل ،فتقول : عسى زيدٌ ، كما تقول : قام زيدٌ ،ومعناه : قرب . قال تعالى : ﴿قل عسى أن يكون رَدِف لكم﴾ [النمل:٧٢] ،أي: قرب .فقولك : عسى زيدٌ أن يقوم، تقديره :عسى قيام زيد ،أي: قرب قيام زيد .

ومعنى الآية :أنّه ربما كان الشيء شاقًّا عليكم في الحال ،وهو سبب للمنافع الجليلة في المستقبل، وبالضد ..وأنّ الطبع ولو كان يكره القتال من أعداء الله فهو خير كثير وبالضد ومعلوم أن الأمرين متى تعارضا فالأكثر منفعة هو الراجح وهذا هو المواد قوله : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شرٌّ لكم﴾..

و﴿عسى﴾ توهم الشك ،مثل(لعلّ) ،وهي من الله تعالى يقين ،ومنهم من قال : إنّها كلمة مطمعة، فهي لا تدل على حصول الشك للقائل ،إلا أنّها تدلّ على حصول الشك للمستمع ،وعلى هذا التقدير لا يحتاج إلى التأويل .أما إذا قلنا بأنّها بمعنى (لعل) فالتأويل فيه هو الوجوه المذكورة في قوله تعالى : ﴿لعلّكم تتقون﴾ [البقرة:١٨٣] . قال الخليل : ﴿عسى﴾ من الله واجبٌ في القرآن، قال تعالى : ﴿فعسى اللهُ أنْ يأتيَ بالفتح﴾ [المائدة:٥٢] ،وقد وجد .وقال سبحانه : ﴿عسى اللهُ أن يأتيَني بهم جميعًا﴾ [يوسف:٨٣] ،وقد حصل – والله أعلم –)[٣٦].

وقال العكبري : (﴿وعسى أنْ تكرهوا﴾ أن والفعل في موضع رفع فاعل (عسى) ، وليس في (عسى) ضمير) [٣٧].

وقال أبو حيان : (﴿عسى﴾ هنا للإشفاق ، لا للترجي ،ومجيئها للإشفاق قليل ، وهي هنا تامة، لا تحتاج إلى خبر ،ولو كانت ناقصة لكانت مثل قوله تعالى : (﴿فهل عسيتم إن توليتُم أن تفسدوا﴾ [محمد:٢٢] . فقوله : ﴿أنْ تكرهوا﴾ في موضع رفع بـ(عسى) .وزعم الحوفي أنه في موضع نصب،ولا يمكن إلا بتكلف بعيد) [٣٨].

وقال الطباطبائي : (قوله تعالى : ﴿وعسى أنْ تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم ..﴾ [البقرة:٢١٦] إنّ أمثال (عسى) و(لعل) في كلامه تعالى مستعمل في معنى الترجي ،وليس من الواجب قيام صفة الرجاء بنفس المتكلّم ،بل يكفي قيامها بالمخاطب ، أو بمقام المخاطب ،فالله سبحانه إنّما يقول : عسى أن يكون كذا لا لأنه يرجوه ،تعالى عن ذلك ،بل ليرجوه المخاطب ، أو السامع .

وتكرار (عسى) في الآية لكون المؤمنين كارهين للحرب ،مُحبين للسلم ،فأرشدهم الله سبحانه على خطئِهم في الأمرين جميعًا .وبيان ذلك أنه لو قيل: عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم أو تحبوا شيئا وهو شرٌّ لكم ، كان معناه :أنّه لا عبرة بكرهكم وحبّكم ؛ فإنهما ربما يخطئان الواقع ،ومثل هذا الكلام إنما يُلقَى

إلى مَن أخطأ خطأً واحدًا ،كمن يكره لقاء زيد فقط ،وأما من أخطأ خطأين كان يكره المعاشرة والمخاطبة ،ويحب الآعتزال ،فالذي تقتضيه البلاغة أن يشار إلى خطئه في الأمرين جميعًا ، فيقال له : لا في كرهك أصبت ،ولا في حبك اِهتديت ،عسى أن تكره شيئا ،وهو خير لك، وعسى أن تحب شيئا ، وهو شرٌّ لك ؛ لأنك جاهل لا تقدر أن تهتدي بنفسك إلى حقيقة الأمر، ولما كان المؤمنون مع كرههم للقتال مُحبِّين للسلم ، كما يُشعِر به أيضا قوله تعالى سابقًا : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتِكم مثَلُ الذين خَلَوا من قبلكم﴾ [البقرة:٢١٤] ، نَبَّههم الله بالخطأين بالجملتين المستقِلَّتَين ، وهما : ﴿عسى أنْ تكرهوا..﴾ ، و: ﴿عسى أنْ تحبوا..﴾) [٣٩].

وقال السبزواري : (﴿عسى﴾ في مثل هذه الآيات إنّما أُتي بها بلحاظ حال المخاطب ؛ فيصحّ الكلام حينئذٍ من دون عناية ،كما يقول الأب الحكيمُ لولده : شاور في أمورك أهل النصيحة الحقيقي؛ لآستحالة التمنّي والترجّي والطمع بالنسبة إليه جلّت عظمته) [٤٠].

وقال الدرويش : (﴿عسى﴾ : فعلٌ ماضٍ جامد لإنشاء الترجّي ، وهي هنا تامة ، وذلك مطرد في (عسى) ،و(آخلولق) ،و(أوشك) ،إذا وليتها (أن)) [٤١].

والذي يتبيّن للمتدبّر أنّ (عسى) في الآية التي مرّ تحليلها – وما يشبهها من آيات – أنّها لم تفارق دلالتها على مقاربة حدوث الفعل بعدها، أو رجاء حصوله ، كما مرّ بيانه في موضعه .ففي تعبير﴿عسى أنْ تكرهوا..﴾ نلحظ أنّه يريد دلالة مقاربتكم كره شيء ، على الرغم من وجود الخير فيه ، ويكون في هذه المقاربة إشفاق من لدن المتكلم عليهم فيما هو حاصل منهم .

وقد اجتمعت دلالتا مقاربةِ إحداثِ الكَرْه منهم ،والإشفاقِ عليهم من لدن المتكلم معا ، وتحقق ذلك في اختيار (عسى) ، فسبحان الله خير القائلين .

وكذا نلحظ أنّ دلالة (عسى) في تعبير ﴿وعسى أنْ تُحِبُّوا شيئًا وهو شرٌّ لكم﴾،هي أنّكم قاربتُم في حبِّكم شيئًا ،على الرغم مِن أنّه سيلحَقُكم منه شرٌّ ، وحبُّكم هذا هو لطمعكم في حصوله .وجاء اختيار (عسى) – هنا – لبيان إشفاق المتكلم عليكم أيها المُخاطَبون .

إن هذا التحليل لمعنى (عسى) هو الأقرب ـ فيما نعتقد – ، وهو معنًى ليس باليسير تبيُّنه في هذه اللفظة والسياق الذي ضمّها ، بل إنّه معنًى غريبٌ اجتمع فيه رغبة طرفي الحوار : المتكلم والمخاطَب ، وهو لعمري معنًى لا يتأتّى من تعبير آخر إلا من كلام الله المعجز .

وكذا وردت في (١٤) أربعة عشر موضعًا[٤٢] بعدها الفاعل (اسمها) والمصدر من (أن) والفعل بعدهما في موضع نصب ،نحو قوله تعالى : ﴿عسى اللهُ أنْ يكُفَّ بأسَ الذين كفروا﴾ [النساء:٨٤]، ويعدّ البصريون (عسى) هنا فعلا ناقصًا، والآسم المرفوع بعدها اسمها ، والمصدر المؤول خبرها، وقيل الآسم المرفوع بعدها فاعل ، والمصدر مفعول به . والكوفيون يعدّونها فعلا تاما هنا ،والآسم المرفوع بعدها فاعل ، والمصدر بدل من فاعلها ؛لأنّ الكوفيين يرون أنّ (عسى) فعلٌ تام لازم ،ولا يعدّونها ناقصة مثلما يذهب إليه البصريون .

قال أبو عبيدة في دلالة (عسى) – هنا – : (﴿عَسَى اللهُ﴾ : هي إيجاب من الله ،وهي في القرآن كلّها واجبة، فجاءت على إحدى لغتي العرب ؛ لأنّ (عسى) في كلامهم رجاءٌ ويقين) [٤٣].

وقال الطوسي في دلالة ﴿عسى﴾ في هذه الآية : (قال الحسن ،والبلخي، والزجاج : إنّ ﴿عسى﴾ من الله واجب ،ووجه ذلك أنّ إطماعَ الكريم إنجازٌ،وإنّما الإطماع تقوية أحد الأمرين على الآخر،دون قيام الدليل على التكافؤ في الجواز. وخرج ﴿عسى﴾ في هذا من معنى الشك ،كخروجها في قول القائل :أطع ربك في كل ما أمرك به ،ونهاك عنه عسى أن تُفلحَ بطاعتك) (٤٤).

وقال الرازي : (﴿عسى﴾ : حرف من حروف المقاربة ،وفيه ترجٍّ وطمع ،وذلك على الله تعالى محال .والجواب عنه أنّ ﴿عسى﴾ معناها الإطماع ،وليس في الإطماع أنه شك ،أو يقين . وقال بعضهم : إطماع الكريم إيجاب) (٤٥) .

وقال أبو حيان : (قال عكرمة ،وغيره : (عسى) من الله واجبة ، ومن البشر متوقعة مرجوّة) (٤٦).

وقال الطباطبائي : (وقوله تعالى : (﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ﴾ .. إنّ (عسى) تدلّ على الرجاء أعمّ من أن يكون ذلك الرجاء قائمًا بنفس المتكلم ،أو المخاطب ،أو بمقام التخاطب ،فلا حاجة إلى ما ذكروه من أنّ (عسى) من الله حتمٌ) (٤٧).

وقال السبزواري : (المعروف (عسى) من الإنسان للترجي ، ومن الله تعالى الحتم ؛ لأنّ الترجي محالٌ عليه عزّ وجلّ ، المحيط بكل شيء ، وأنّ (عسى) وغيرها من أدوات الترجي والتمني تستعمل في معانيها الحقيقية الإنشائية في إبراز المقصود ،والمطلوب ، بدواعٍ مختلفة كالترجي والتمني ، ونحو ذلك ،بلا فرق بين أن تكون تلك المعاني قائمة بنفس المتكلم ،أو المخاطب ،أو بمقام التخاطب ،فيكون مفهوم (عسى) في الخالق والمخلوق على حدٍّ سواء ،بلا ارتكاب مجازٍ) (٤٨).

وقال الدرويش : (﴿عسى﴾ : فعلٌ ماضٍ جامد من أفعال الرجاء التي يسميها النحاة : أفعال المقاربة تغليبًا.و(الله): لفظ الجلالة اسمها .والمصدر المؤول من (أن) وما في حيزها خبرها) (٤٩).

والذي يتبيّن للمتدبّر في الآية التي مرّ تحليلها – وأمثالها التي أُسندت إليه سبحانه – أنّ دلالة (عسى) – أيضًا – لم تفارق معناها الذي وُضِع لها في اللغة ،وجاء استعمالها في الآية هذه مفيدًا تحقق حدوث خبرها ؛ لأنّه من الله تعالى ، وهنا لا يمكن حمل المعنى على المجاز مطلقًا ؛ لأنّ حصول الخبر واقعٌ ،وكفّ بأس الكافرين عن المسلمين مُنجَزٌ منه جلّت قدرتُه . ويمكن فهم الإطماع لدى المُخاطَبين في (عسى) بكفِّ الله جلّت عظمتُه ، وهنا اجتمعت دلالتَان معًا : تحققُ الكفّ ،

وطمع المُخاطبين وطمعهم ،ورجائهم بكف بأس الكافرين عنهم.فسبحان الله في كلامه المُعجز حقًّا.

المبحث الثالث

أ – دلالة تركيب ﴿هل عسيتم﴾

ب – إعراب التركيب

ج ـ نتائج البحث

تركيب ﴿هل عسيتم﴾ في القرآن الكريم

ذكرنا أنّه ورد تركيب ﴿هل عسيتم﴾ في موضعين من مواضع استعمال ﴿عسى﴾ في القرآن الكريم ، وفي هذا التركيب اتصلت (عسى) بضمير الرفع (التاء) ،وهو موضوع بحثنا هنا .

<u>الموضع الأول</u> : قال تعالى : ﴿ألم ترَ إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيّ لهم اِبعث لنا مَلِكًا نُقاتِلْ في سبيل الله قال هل عَسَيتُم إنْ كُتِب عليكم القتالُ ألاّ تُقاتلوا﴾ [البقرة:٢٤٦].

قال أبو عبيدة ﴿هل عسيتُم﴾ – هنا – : (هل تَعِدون أن تَفعَلوا ذلك) (٥٠).

وقال الزجاج : (﴿هل عَسَيتُم إنْ كُتِب عليكم القتالُ﴾ ، أي: لعلّكم أن تَجْبُنوا عن القتال، وقرأ بعضُهم : ﴿هل عَسَيتُم إنْ كُتِب عليكم القتالُ﴾ – بكسر السين – ، وهي قراءةُ نافع ، وأهل اللغة كلهم يقولون : عسَيتُ أن أفعل ،ويختارونه .وموضِعُ ﴿ألاّ تُقاتلوا﴾ نَصبٌ ،أعني موضع (أن) ؛ لأنّ (أن) وما عملت فيه كالمصدر ،إذا قلت : عسيت أن أفعل ذاك ،فكأنّك قلت : عسيت فعلَ ذلك) (٥١).

وقال النحاس : (﴿قال هل عَسَيتُم﴾ ، قال أبو حاتم : ولا وجْهَ لـ(عسيتم) – بكسر السين(٥٢). وقد قرأ الحسن به ،ونافع ،وطلحة بن مصرف ،ولو كان كذا لقرئت (فعسي الله) .قال أبو جعفر: حكى يعقوب بن السكيت وغيره أنّ (عسِيْت) لغة ، ولكنها لغة رديئةٌ ،فإذا قال : عسَى الله ،ثم قال: فهل عسِيتم ،استعمل اللغتين جميعًا ،إلا أنّه ينبغي له يقرأ بأفصح اللغتين ، وهي فتح السين .. ﴿ألاّ تُقاتلوا﴾: في موضع نصب .قال أبو إسحاق:أي: هل عسيتم مقاتلةً) (٥٣).

وقال الزمخشري : (وخبر﴿عسيتُم﴾: ﴿ألاّ تقاتلوا﴾ ،والشرط فصل بينهما .والمعنى :هل قاربتم أن لا تقاتلوا ؟ يعني : هل الأمر كما أتوقعه أنّكم لا تقاتلون ؟ أراد أن يقول : عسيتم أن لا تقاتلوا، بمعنى : أتوقع جبنكم عن القتال ؛ فأدخل (هل) مستفهما عما هو متوقع عنده ، ومظنون ، وأراد بالآستفهام التقرير، وتثبيت أنّ المتوقع كائنٌ ،وأنّه صائبٌ في توقعه) (٥٤).

وقال الرازي : (خبر﴿عسيتُم﴾ وهو قوله : ﴿ألاّ تقاتلوا﴾ ،والشرط فصل بينهما .والمعنى :هل قاربتم أن لا تقاتلوا ؟ بمعنى : أتوقع جبنكم عن القتال ؛ فأدخل ﴿هل﴾ مستفهما عما هو متوقع عنده ، ومظنون ، وأراد بالآستفهام التقرير، وثبت أنّ المتوقع كائنٌ له ، وأنّه صائبٌ في توقعه.. ثم إنّه تعالى ذكر أنّ القوم قالوا: ﴿وما لنا أنْ لا نقاتلَ في سبيل الله﴾ ،وهذا يدل على ضمان قوي، وأتبعوا ذلك بعلة قوية توجب التشدد في ذلك) (٥٥).

وقال أبو حيان : (ودخول ﴿هل﴾ على ﴿عسيتم﴾ دليلٌ على أنّ ﴿عسى﴾ فعلٌ خبري، لا إنشائي، والمشهور أنّ ﴿عسى﴾ إنشاء ؛لأنّه ترجٍّ ،فهي نظيرة (لعل)؛ولذلك لا يجوز أن يقع صلة للموصول.. وقد خالف

في هذه المسألة هشام ، فأجاز وصل الموصول بها..وخبر ﴿عسيتم﴾ : ﴿أن لا تقاتلوا﴾، هذا على المشهور :أنّها تدخل على المبتدأ والخبر ،فيكون (أن) زيدت في الخبر ؛ إذ (عسى) للتراخي [٥٦] . ومَن ذهب إلى أنّ (عسى) يتعدّى إلى مفعول جعل ﴿أن لا تقاتلوا﴾ هو المفعول ، و(أن) مصدرية) [٥٧].

وقال الطباطبائي في علة إجابة نبيّهم بأسلوب الآستفهام : (لأنّ الذي أجابهم به هو السؤال عن مخالفتهم ،وكانت مرجوّةً منهم ،ظاهرة من حالهم بوحيه تعالى ،فنزّه اسمه تعالى من التصريح به، بل إنما أشار إلى أنّ الأمر منه وإليه تعالى بقوله : ﴿إن كتب.. ﴾ ، والكتابة هي الفرض إنما تكون من الله تعالى .

وقد كانت المخالفة والتولي عن القتال مرجوًّا منهم ؛ لكنه أورده بطريق الاستفهام ؛ ليتمّ الحجّة عليهم ، بإنكارهم فيما سيُجِيبون به من قولهم : ﴿﴿ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله﴾) [٥٨].

وقال السبزواري: (﴿عسيتم﴾ بفتح (السين)،وهي القراءة المشهورة،وقرىء شاذًّا بالكسر .والمراد بها في المقام الإشفاق في المكروه ،أي: هل أتوقع منكم الجبن والتولي في القتال إذا كُتِب عليكم)[٥٩].

وقال الدرويش : (هل : حرف استفهام ، أفاد التقرير . عسيتم : فعل ماضٍ جامد ، من أفعال الرجاء . التاء : اسمها .. وخبرها : ﴿ألاّ تقاتلوا﴾)[٦٠].

<u>والموضع الثاني</u> : قوله تعالى : ﴿فهل عَسَيتُم إنْ تولّيتُم أن تُفسدوا في الأرض﴾ [محمد:٢٢].

قال النحاس : (هذه القراءةُ – قصد فتح السين – التي عليها الجماعة . قال أبو إسحاق : ولو جاز: عَسِيتُم – قصد كسر السين – لجاز : عَسِيَ ربُّكم ،فهي عنده لا تجوز البتّة .. ﴿أن﴾ في موضع نصب ، خبر (عسيتم) . وهذه اللغة الفصيحة ، ومن العرب مَن يحذف (أن) من الخبر.. ومِن العرب مَن يأتي بالآسم في خبرها ،فينصبه ،فيقول: عسى زيدٌ قائمًا[٦١])[٦٢].

وقال الزمخشري: (عسيت ،وعسيتم : لغة أهل الحجاز،وأما بنو تميم فيقولون: عسى أن تفعل.. وقرأ نافع بكسر السين ، وهو غريب . وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الآلتفات؛ ليكون أبلغ في التوكيد.فإن قلت :ما معنى﴿فهل عَسَيتُم..أن تُفسدوا في الأرض﴾؟ قلت : معناه:هل يُتَوقّع منكم الإفساد ؟ فإن قلت :فكيف يصح هذا في كلام الله عزّ وعلا ، وهو عالم بما كان، وبما يكون؟ قلت: معناه: إنّكم – لما عهد منكم – أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم ،وعرف تمريضكم، ورخاوة عقدكم في الإيمان: يا هؤلاء،ما ترون؟ هل يُتَوقّع منكم إن توليتم أمورَ الناسِ، وتأمّرتُم عليهم لما تبيّن منكم من الشواهد ،ولاح من الخمايل ﴿أن تُفسدوا في الأرض وتُقطّعوا أرحامكم﴾ ؛ تناحرًا على المُلك، وتهالكًا على الدنيا ؟وقيل : إن أعرضتُم ، وتولّيتُم عن دين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسنته ، أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض)[٦٣].

وقال الرازي : (والآستفهام للتقرير المؤكد ،فإنه لو قال على سبيل الإخبار : ﴿عسيتُم إن توليتم﴾ لكان للمخاطب أنْ ينكره ، فإذا قال بصيغة الاستفهام كأنّه يقول : أنا أسألُك عن هذا ،وأنت لا تقدر أن تجيب إلا بـ(لا) ، أو : نعم ، فهو مقرر عندك وعندي .و(عسى) للتوقع ،والله تعالى عالم بكل شيء ،فنقول فيه ما قلنا في (لعل) وفي قوله : ﴿لنبلُوَهُم﴾ [الكهف:٧] ، أنّ بعض الناس قال: يفعل بكم فعل المترجي ،والمبتلي ،والمتوقع .وقال آخرون : كان من ينظر إليهم يتوقع منهم ذلك، ونحن قلنا محمول على الحقيقة ؛ وذلك لأن

الفعل إذا كان ممكنا في نفسه فالنظر إليه غير مستلزم لأمر ،وانّما الأمر يجوز أن يحصل منه تارة ،ولا يحصل منه أخرى ،فيكون الفعل لذلك الأمر المطلوب على سبيل الترجي ،سواء كان الفاعل يعلم حصول الأمر منه ،أو أنّه لم يكن يعلم، مثاله مَن نَصب شبكة لآصطياد الصيد،يقال:هو متوقعٌ لذلك فإنّ حصل له العلمُ بوقوعه فيه بإخبارٍ صادق أنّه سيقع فيه ،أو بطريقةٍ أخرى ،لا يخرج عن المتوقع ،غاية ما في الباب أنّ في الشاهد لم يحصل لنا العلم فيما نتوقعه ،فيظن أنّ عدم العلم لازم للمتوقع ،وليس كذلك ،بل المتوقع هو المنتظر لأمر ليس بواجب الوقوع ،نظرا لذلك الأمر فحسب ،سواء كان له به علم أو لم يكن) [٦٤].

وقال أبو حيان : (﴿فهل عسيتُم﴾ التفات للذين في قلوبهم مرضٌ، أقبل بالخطاب عليهم على سبيل التوبيخ ،،وتوقيفهم على سوء مرتكبهم ..وخبرها الشرط ، وهو: ﴿إنْ توليتم﴾..وهذا التوقع الذي في (عسى) ليس منسوبًا إليه تعالى ؛ لأنّه عالمٌ بما كان ،وما يكون ،وإنّما هو بالنسبة لمَن عرف المنافقين ، كأنّه يقول لهم : لنا علم من حيث ضياعهم هل يُتَوَقّع منكم إذا أعرضتم عن القتال أن يكون كذا وكذا) [٦٥].

وقال الطباطبائي : (الآلتفات في الآية لزيادة التوبيخ ،والتقريع ،والآستفهام للتقرير.. والمعنى : فهل يُتوَقّع منكم إن أعرضتم عن كتاب الله ،والعمل بما فيه ،ومنه الجهاد في سبيل الله أن تفسدوا في الأرض ،وتقطّعوا أرحامكم بسفك الدماء .. فإن توليتم كان المتوقع منكم ذلك . وقد ظهر بذلك أنّ الآية في مقام التعليل لقوله سبحانه : ﴿لكان خيرًا لهم﴾ ؛ ولهذا صدّر بالفاء) [٦٦].

وقال سيد قطب : (وهذا التعبير ﴿فهل عسيتُم﴾ يفيد ما هو متوقعٌ من حال المخاطبين ،ويلوّح لهم بالنذير ،والتحذير.. اِحذروا ؛ فإنّكم منتهون إلى أن تعودوا إلى الجاهلية التي كنتم فيها : تفسدون في الأرض ،وتقطعون الأرحام) [٦٧].

لم يذهب العلماء إلى تحليل تركيب ﴿هل عسيتُم﴾ ،وذكروا أمرين : **الأول** : عدم جواز دخول طلب على طلب ، وقصدوا دخول الآستفهام على الترجّي ،دون أن يقدّموا تعليلا مقنعًا لما ذهبوا إليه ،ولا تفسيرًا لهذا التركيب الذي يفنّد مذهبهم . **الثاني** : ذكروا معنى الآستفهام – مع شيء من اختلافهم فيه –، وذكروا معنى (عسى) – مع اختلافهم في دلالتها هنا – ، بل اِختلفوا في أثرها الإعرابي ، وتوجيهه .

والذي يخلص إليه البحث أنّ تركيب ﴿هل عسيتُم﴾ ، المكون من أداتي طلب (هل) ؛ للآستفهام. و(عسى) قيل هي للمقاربة ، وقيل للرجاء ، وأنه تركيب عجيب غريب ، وقد وقف عنده العلماء ، ولكنهم لم يعرضوا له تركيبا ، بل ذكروا دلالة كل حرف منه حسب .

نقول (هل) : للآستفهام، والآستفهام هنا خرج إلى غرض تقرير المقاربة في (عسى) ، وآستقباح تلك المقاربة من المخاطَبين، سواء في الآية الأولى (آية: ٢٤٦ من سورة البقرة) ، أو الآية الثانية (الآية:٢٢ من سورة محمد).. و(**عسى**) الفعل الماضي الجامد الناقص ، والذي يحملنا على هذا المذهب **أولا** : السياق الذي ضمّ تركيب (هل عسيتم) .وقد مرّ تفصيل ذلك . **وثانيًا** : يتعذر حمل أيٍّ من أداتَي التركيب على غير هذا المعنى ، ولا سيما ما ذهب إليه قسم من العلماء في حملهم كل أداة على معناها وحدها ،من دون الآلتفات إلى دلالة التركيب جميعه ، والسياق الذي ضمّه .

وثالثا : إنّ أغلب العلماء لم يُعمِلوا فكرهم جيدًا في المراد من التركيب ،وجرى أغلبهم على ما قاله من تقدمهم ، على الرغم من أنّ بعضهم زاد شيئًا ،هنا أو هناك ، لكنهم لم يقدموا ما يُشفي غليل المتلقي ، ولا المتدبّر في الآي الكريم .

ب – إعراب تركيب ﴿هل عسيتم﴾ في الآيتين :

هل : حرف استفهام على بابه ، وقد خرج الآستفهام به إلى معنى (غرض) النفي ،أو الجحد في آية سورة البقرة . والتقرير في آية سورة محمد (صلى الله عليه وآله) .

عسى : فعل ماضٍ ناقص جامد ، مبني على الفتح المقدر على الألف للتعذر . وذلك على وفق مذهب جمهور البصريين . ولا يمكن حمل (عسى) على التمام هنا على وفق رأي جمهور الكوفيين، أي : جعلها فعلاً تامًّا ؛ ومسوغ هذا التوجيه – أنّها ناقصة – أنّ تقدير الجملة لا يَستَقيمُ – مطلقًا – ، إذا جعلنا (عسى) تامة هنا ؛ أيًّا كان التأويل والتفسير ، بل يفسد المعنى . ولا سيما جعل المصدر المؤول بدلاً من اسم (عسى) ، أو فاعلها ، وهو ضمير (التاء) هنا .

تم : (التاء) : ضمير المخاطَب ، وأريد به هنا جماعة المُخاطَبين بدلالة (ميم الجمع) ، مبني على الضم في محل رفع اسم (عسى) . الميم : علامة جمع المذكر لا محل له من الإعراب .

المصدر المؤول في الآيتين : ﴿ألاّ تقاتلوا﴾ ، و: ﴿أن تُفسدوا﴾ في محل نصب خبر (عسى).

وعلى هذا التوجيه يكون التقدير : كنتم مقاربين ألاّ تقاتلوا . و: كنتم مقاربين أنْ تُفسدوا .

نتائج البحث

أ – إنّ تركيب ﴿هل عسيتُم﴾ تركيب قرآني غريب بروعته ، عجيب في إفادته المعنى المراد منه، وذلك بجمعه أداتي طلب ، على الرغم من اختلاف دلالة كلٍّ جزء من جزأي التركيب . وبخلاف مَن زعم أنّه لا يجوز دخول طلبٍ على طلب .

ب – اختلف العلماء في دلالة جزأي تركيب ﴿هل عسيتُم﴾ ، وكذا دلالة التركيب كله ،وقد مرت آراء العلماء قبلُ ، والذي يبدو للبحث في دلالة التركيب هذا الآتي :

أوّلاً – في الآية : ٢٤٦ من سورة البقرة :

١ـ بدأت الآية الكريمة بأسلوب الآستفهام في قوله : (﴿ألم تر..﴾ ، وطلب آخر (أمر) في قوله : ﴿ابعث لنا مَلِكًا﴾ ،تلا ذلك تركيب : ﴿هل عسيتم﴾ ، فضلا عمّا تضمّنته الآية الكريمة من أسلوب خبري ،أو استفهام ..الخ ،وفي هذا تهيئةٌ لدلالة تركيب ﴿هل عسيتُم﴾ ، كما سيأتي .

٢ـ تضمنت الآية المباركة طلبًا – إعلانًا – من بني إسرائيل في رغبتهم في القتال في سبيل الله . وكان طلبهم ذلك مُوَجَّهًا إلى نبيِّهم ،وفي هذا خللٌ إيمانيٌّ ؛إذ كان الأَوْلَى بهم أن يكونَ طلبُهم من الله بوساطة نبيّهم ،وهذا سيكون له علاقةٌ بآختيار تعبير﴿هل عسيتُم﴾ ، لإفادة معناه .

٣ـ جاء تعبير ﴿هل عسيتم﴾ بعد طلبين كما مر ،وهذا يُظْهِر روعة السبك في الآية المباركة في توالي أساليب طلب مختلفة مع دقة النظم والسبك والتعبير ، ويُفنّد مذهب الزاعمين بأنّه لا يجوز دخول طلب على طلب .

٤ – الذي يتبين من السياق هذا أن تعبير ﴿هل عسيتم﴾ على بابه في جزأيه (هل) ، و: (عسى)، في إفادة الاستفهام في (هل) ،والمقاربة في (عسى) ؛وذلك أن الاستفهام هنا خرج إلى غرض التوبيخ على عدم صدق نواياهم فيما طلبوه ، وزعموه من أنّهم سيقاتلون في سبيل الله ،وإنكار ذلك عليهم ، وآستقباحه منهم .

أما تعبير ﴿عسيتم﴾ فيُشعِر بأن بني إسرائيل أظهروا عدم مقاربتهم نيل شرف القتال في سبيل الله ، وعدم مقاربتهم تلبية فرض الجهاد من أنفسهم ؛ لأداء ما هم طلبوه من نبيهم .

وإشفاق المتكلم (الله تعالى) عليهم ؛ لأنّهم ما أدُّوا فرض الجهاد الذي فرضه الله على عباده ، وهم الذين أقرُّوا به بطلبهم من نبيّهم أن يختار لهم ملكًا يقودهم للقتال في سبيل الله .

وقد ذهبنا إلى هذا التوجيه في المعنى في التركيب هذا ؛ لأنّ (هل) خرجت إلى معنى النفي (الجحد)، أو الإنكار ؛ وبذلك تَبَيَّنا دلالة عدم حصول معنى (عسى) بعدها ، بمعنى : اِنتفاء المقاربة من لدن المخاطَبين .

أما (عسى) فقد أوحَى التعبير بها إلى هذا المعنى الذي وُضِع له في اللغة أصلاً ، وجاء استعمالُها هنا حيث كانت اللغة قد استعملتها فيه من دلالة .

٥ – زاد معنى التوبيخ والزجر لبني إسرائيل إسنادُ (عسى) إلى ضمير المخاطبين (التاء) المتصل بـ(ميم) علامة الجمع ، ولا يخفَى أنّ الإسناد هذا قد أوحى بهذه الدلالات .

٦ – نلحظ براعة التعبير، وروعة الأسلوب ،وغرابة التركيب ،وقوةَ وقعِ ذلك كلّه مجتمعًا على المخاطَبين ، وفي إيصال الفكرة إلى المتلقين .

٧ – وهذه الدلالة التي تبيّنت في البحث من خلال تحليل الآية الكريمة توافق الموضوع العام للآية المباركة ، وهو القتال في سبيل الله ، وعزوب الإنسان عنه ، فيكون إنكار المقاربة والإشفاق في نفوس بني إسرائيل ، وفي هَوَاهم غايةَ ما يريدُه النص الكريم – والله أعلم –.

ثانيًا : – في الآية : ٢٢ من سورة محمد (صلى الله عليه وآله) :

١ – جاء تركيب ﴿فهل عسيتم﴾ في هذه الآية المباركة في سياق يتحدث عن موضوع القتال كذلك، مثلما مَرّ في الآية ٢٤٦ من سورة البقرة ، غير أنّ عرضَ الموضوع ورد بأسلوب إخباري، تضمن عرضًا لكلام المُخْبَر عنهم بأسلوب العرض بـ(لولا) ،فتداخل الأسلوبان ، والعرضُ جاء مقولا عنهم ، وذلك قولهم : أن تنزل عليهم سورة .

٢ – يُواصل النص الكريم وصفهم ، إذ إنّهم لا يمتثلون الحكم الذي تأتي به السورة ، ولا سيما إذا كان ذلك في القتال ، فتعبير ﴿هل عسيتم﴾ يُومئُ إلى إنكار فعلهم ، وذلك في عدم اِمتثالهم بما يؤمرون به ، بل تشوّفُهم ،وتطلُّعهم إلى مقاربة فعل الفساد في الأرض ، وتقطيع الأرحام .

٣- الذي يَحمل البحث إلى القول بهذه الدلالة هو السياق الذي ضم تركيب ﴿فهل عسيتم﴾ نفسه ، ـ نقصد الآيتين قبله - ، وهما قوله تعالى : ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نُزّلت سورةٌ فإذا أُنزلت سورةٌ مُحكمةٌ وذُكِر فيها القِتالُ رأيت الذين في قلوبهم مرَضٌ ينظرون إليك نَظَرَ المَغشِيِّ عليه من الموت فأَوْلَى له ۞ طاعةٌ وقولٌ معروفٌ فإذا عَزَمَ الأمرُ فلو صَدَقوا اللهَ لكان خيرًا لهم ۞ فهل عَسَيتُم إنْ تولَّيتُم أن تُفسِدوا في الأرض وتُقَطِّعوا أرحامَكم﴾ [محمد:٢٠-٢٢] ،ونلحظ أنّ الإنكار تأتى من استعمال (هل) ، ووقع على مقاربتهم فعل الفساد ،وتقطيع الأرحام .

٤ - جاء تعبير ﴿أنْ تُفسِدُوا في الأرض﴾ مطلقًا في إرادة معنى الإفساد ، وشموله ، وعمومه ؛ إذ لم يعين نوعه ،ولا زمنه ، ولا مكانه ، ولا أثره ، ولا على مَن سيقع ، وذلك ما ناسب دلالة تركيب ﴿هل عسيتم﴾ ؛ ليكون تقرير مقاربتهم الإفساد ، ورغبتهم في توليهم عن القتال مطلقًا كذلك، ويكون في ذلك توسعٌ في فهم الدلالة التي قصد النصُّ الكريمُ إبلاغها المتلقين .

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

١- أساس البلاغة - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) - تحـ. عبد الرحيم محمود ، وتعريف أمين الخولي - إحياء المعاجم العربية - إشراف : محمد نديم (مدير مطبعة دار الكتب المصرية) - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .

٢- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين - الدكتور قيس إسماعيل الأوسي - ط ١ - جامعة بغداد - بيت الحكمة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٣ - إعراب القرآن - أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ) ـ ط ١ ـ دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان - بيروت ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

٤ - إعراب القرآن الكريم - أ .د.محمد الطيّب الإبراهيم - ط٤ - دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان - بيروت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٥ - إعراب القرآن الكريم وبيانه - محيي الدين الدرويش - ط٣ - دار ابن الأثير للطباعة والنشر والتوزيع - سورية - دمشق ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٦- إملاء ما منّ به الرحمن - محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ) - طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٦هـ .

٧- البحر المحيط - أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي (ت٧٤٥هـ) - ط٢ - دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٨ - تاج اللغة وصحاح العربية ، المُسَمَّى بـ(الصحاح) - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) - ط١ - اعتنى بتصحيحه : مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي - طبع دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان - بيروت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩.

٩- التبيان في تفسير القرآن – محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)- تحـ . حبيب قصير العاملي – ط١ – مطبعة سليمان زاده – قم – إيران ١٤٣١هـ .
١٠- التحقيق في كلمات القرآن الكريم – حسن المصطفوي – ط ٣ – دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
١١ – التطور النحوي للغة العربية – برجشترا سر – تصحيح وتعليق الدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
١٢- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي (ت٦٠٤هـ) – تحـ.عماد زكي البارودي ، وقدّم له هاني الحاج – ط١ – المكتبة التوفيقية – القاهرة (د.ت) .
١٣- تهذيب اللغة – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) – تحـ.عبد السلام هارون – راجعه محمد علي النجار (د.ت) .
١٤- جامع البيان في تأويل القرآن ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ـ ط٣ـ دار الكتب العلمية – لبنان ـ بيروت ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٥- الجامع لأحكام القرآن ، المعروف بـ(تفسير القرطبي) ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تحـ . محمد بيّومي ،وعبد الله المنشاوي ـ ط١ – مكتبة الإيمان ـ المنصورة – مصر (د.ت) .
١٦- الجنى الداني في حروف المعاني – حسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ) – تحـ. طه محسن – ط ١ – طباعة مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (جامعة الموصل) – ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.
١٧ – حاشية الصبان على شرح الأشموني على شرح ألفية ابن مالك – محمد بن علي الصبّان (ت١٠٢٦هـ) – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.) ...
١٨ – الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) – تحـ. محمد علي النجار – ط٤ – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ١٩٩٥م .
١٩ – سرّ صناعة الإعراب – أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) –تحـ. د.حسن هنداوي – ط ١ – دمشق ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٢٠ – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (ت٧٦٩هـ) – تحـ.محمد محيي الدين عبد الحميد (د.ت) .
٢١- شرح الكافية في النحو – رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٦هـ) ـ دار الكتب العملية ـ بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٢- شرح المفصل ـ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ) ـ بيروت (د.ت).
٢٣- الصاحبي في فقه اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ) – تحـ. أحمد صقر – ط ١ – مؤسسة المختار – القاهرة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م .

٢٤- العين ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) – تحـ . د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ـ دار الرشيد للنشر ـ وزارة الثقافة والإعلام ـ الجمهورية العراقية ـ ١٩٨٢م.

٢٥- العين (المرتب هجائيًا) ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) – تحـ . د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ـ تصحيح : أسعد الطيب – ط٣ – مطبعة أسوة – طهران – إيران ١٤٣٢هـ.

٢٦- في ظلال القرآن – سيد قطب – ط ٨ – دار الشروق – بيروت – لبنان١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٧ – الكتاب – أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه ت١٨٠هـ) – تحـ. عبد السلام محمد هارون – ط٣ – عالم الكتب – بيروت ١٤٠٣- ١٩٨٣م .

٢٨ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) – تحـ. د. عبد الرزاق المهدي – ط١ – دار إحياء التراث العربي – لبنان – بيروت ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٢٩- لسان العرب (المرتب هجائيًا) – ابن منظور(ت٧١١هـ) – ط١ – دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

٣٠ – مجاز القرآن – أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ) – د.محمد فؤاد سركين – ط١ – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٥٤م – ١٣٧٤هـ .

٣١- مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ) – دار الرسالة- الكويت ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٣٢ – المصباح المنير ـ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(ت٧٧٠هـ) ـ ط٣. مطبعة سرور ـ نشر مؤسسة دار الهجرة ـ إيران ـ قم ١٤٢٥هـ٠

٣٣ – المطول (شرح تلخيص المفتاح) – سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(ت٧٩٢هـ) – صححه وعلق عليه أحمد عزو عِناية – دار إحياء التراث العربي (د.ت) .

٣٤- معاني القرآن وإعرابه – أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِيّ الزجاج (ت٣١١هـ) ـ تحـ. د.عبد الخليل عبده شلبي – ط١ – دار الحديث – القاهرة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٥ – معاني النحو – الدكتور فاضل صالح السامرائي ـ بغداد حـ ١-٢ ١٩٨٩ ، و حـ٣-٤ ١٩٩١م.

٣٦ – المعجم الوجيز– إعداد مجمع اللغة العربية – القاهرة – ط١ – المركز العربي للثقافة والعلوم (طباعة ونشر وتوزيع) – لبنان – بيروت ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م٠

٣٧ – المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرين – ط ٢ – مطبعة باقري – الناشر مكتبة المرتضوي – ايران – قم ١٤٢٧هـ٠

٣٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصارى (ت٧٦١هـ) تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة الديني ـ (د.ت) .

٣٩ – المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ (الراغب الأصهاني ت ٥٠٢هـ) – تحـ.محمد سيد كيلاني – ط١ – دار المعرفة – بيروت – لبنان (د.ت) .

٤٠ – مقاييس اللغة – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) . تحـ. عبد السلام محمد هارون – دار الكتب العلمية – (د.ت) .

٤١ – المقتضب – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) – تحـ . محمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

٤٢ – مواهب الرحمن في تفسير القرآن ـ عبد الأعلى الموسوي السبزواري – ط٢ – مطبعة الديواني – بغداد ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٤٣ – الميزان في تفسير القرآن – محمد حسين الطباطبائي – ط ٢ – دار الكتب الإسلامية – إيران – طهران ١٣٨٩هـ .

الهوامش

١- العين٣/٣٥١، مادة (هل) . وينظر: تهذيب اللغة ٥/٣٦٣-٣٦٤. ومختار الصحاح/٦٩٨. ولسان -العرب٩/١٢٦.

٢ ـ المفردات/٥٤٤ ،مادة(هل) .

٣ ـ المعجم المفهرس/٤٦٣-٤٦٤، مادة(عسى) .

٤ ـ لم يرد ذكر (عسى) في سورة الفتح .أما في سورة يوسف ففي الآية:٨٣ ، وهي التي قصدها الخليل هنا.

٥ . العين – المرتب هجائيًّا٢/١٢٠٣،مادة (عسو) .وينظر:تهذيب اللغة٣/٨٥-٨٧.ومقاييس اللغة٤/ ٣١٦-٣١٧.والصاحبي/٢٤٧. والصحاح٥/١٤٣٦.والمفردات/٣٣٥.وأساس البلاغة/٣٠٢.ومختار الصحاح/٤٣٢-٤٣٣.ولسان العرب٦/٢٥٦-٢٥٨.والمصباح المنير٢/٤١.والمعجم الوسيط٢/٦٠١-٦٠٢.والمعجم الوجيز /٤١٩.والتحقيق٨/١٦٢-١٦٤.

٦ . تهذيب اللغة٣/٨٥-٨٦ ،مادة(عسى) .وينظر:لسان العرب٦/٢٥٧-٢٥٨.

٧ . مقاييس اللغة٣/٣١٧ ، مادة (عسو – عسى).

٨ . الصحاح٥/١٤٣٦ ، مادة (عسا).وينظر:لسان العرب٦/٢٥٧.

٩. المفردات/٣٣٥،مادة (عسى) .

١٠ . هذا خلطٌ ووهمٌ من المصطفوي ،إذ ثمة فرق بين (عسا – يعسو) ، وبين (عسى) الجامد ، ونكرر القول : إنّ القرآن لم يستعمل إلا (عسى) الجامد .

١١ . هذا خلطٌ ووهمٌ آخر من المصطفوي ،إذ إنّه لا يعد (عسى) من أفعال المقاربة،ولكنه يعين فيه تلك الدلالة.

١٢ . التحقيق٨/١٦٢-١٦٤،مادة (عسى) .

١٣ . آستعمال اللغة والقرآن الكريم لا يؤيد مذهب سيبويه ، إذ دخلت على القبيلين ، وكما مرّ عن الخليل .

١٤ . الكتاب١/٩٨-٩٩.وينظر:المقتضب١/١٨١-١٨٢ .وسرّ صناعة الإعراب١/٣٧٣. والخصائص ٢/٢٧٦. وشرح المفصل٨/١٥٠-١٥٤.وشرح الكافية٤/٤٤٦-٤٥٠.والجنى الداني/٣٣٩-٣٤١.ومغني اللبيب١/٤٥٦-٤٦٢.وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/٣٦١-٣٧٨.والتطور النحوي /١٦٦.

١٥ . الكتاب٣/١٨٩.وينظر:المقتضب١/١٨١-١٨٢ .وسرّ صناعة الإعراب١/٣٧٣. والخصائص ٢/٢٧٦. وشرح المفصل٨/١٥٠-١٥٤.وشرح الكافية٤/٤٤٦-٤٥٠.الجنى الداني/٣٣٩-٣٤١.ومغني اللبيب١/٤٥٦-٤٦٢.وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/٣٦١-٣٧٨.والتطور النحوي /١٦٦.

١٦ . الجنى الداني/٣٣٩-٣٤٠.وينظر : مغني اللبيب١/٤٥٦-٤٥٧.

١٧. ينظر: معاني النحو٤/٦١٣-٦١٥.وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/٣٧٠-٣٧٨.

١٩. المطول شرح تلخيص المفتاح/٤٠٦-٤٠٨ .

٢٠ـ الكتاب ٤/٢٣٣. وينظر: شرح الكافية ٤/٢١٣.ومغني اللبيب ١/٢٠١.

٢١ـ الجنى الداني/٣٣٩-٣٤٠.وينظر : مغني اللبيب ١/٤٥٦-٤٥٧.

[٢٢]-ينظر: معاني النحو ٤/٦١٣-٦١٥.وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/٣٧٠-٣٧٨.

[٢٣]-المطول شرح تلخيص المفتاح/٤٠٦-٤٠٨ .

٢٤ـ الكتاب ٤/٢٣٣. وينظر:شرح الكافية ٤/٢١٣.ومغني اللبيب ١/٢٠١.

٢٥ـ الكتاب ٢/٣٧٤-٣٧٦ .وينظر:المقتضب ٣/٦٨.وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/٢٨٧-٢٩٦.

٢٦ـ الكتاب ٣/١٥٧-١٦١ .وينظر:المقتضب ٣/٦٩--٧٢.وشرح المفصل ٣/١١٨-١٢١.وشرح الكافية ٤/ ٢١١-٢١٩.

٢٧. هذا وَهْمٌ وقع فيه القائلون بالبدلية هنا ،وذلك أنّ (البرّ) واقعٌ – إن وقع – من غيرهم ،فهم أي: (الذين) لم يشتملوا عليه ،فكيف يُعدّ بدل اشتمال ؟

٢٨. هذا وَهْمٌ وقع فيه القائلون بالتنازع هنا ، وذلك أنّه لا يوجد فعلان يتنازعان على المعمول هنا!

٢٩. أعاد ابن هشام أقوال النحاة في تسويغ هذا الإعراب ، ولذلك لم نكرره .

٣٠ . الظاهر من كلام ابن مالك جواز أن تكون تامة كما مر في أبياته قبلُ .

٣١. تركت بقية أنواع (عسى) التي ذكرها ابن هشام لندرتها في اللغة أو لشذوذها،وأنّها لم ترد في القرآن الكريم.

٣٢. لم أكرر مذهب سيبويه هنا ؛ لأنّه مرّ قبلُ ، فلا حاجة لإعادته ثانية .

٣٤ـ مغني اللبيب ١/٢٠١- ٢٠٤. وينظر:حاشية الصبان ١/٢٥٨-٢٦٠.

٣٥ـ وقد جاء الماضي بعدها بأنواعه التام والناقص ، والمتصرف والجامد،ومن ذلك (عسى) موضوع البحث .

٣٦ـ أي: تلاها المبتدأ تارة ، أو الخبر أخرى ،أو حذف أحدهما ،أو بينهما (إلا) ، أو التوكيد بحرف الجر(من) ..

٣٧. بقية المواضع هي في الآيات الآتية : ١٩ من سورة النساء .و١٨٥ من سورة الأعراف. و٢١ من سورة يوسف .و٥١ ، و٧٩ من سورة الإسراء . و٢٤ من سورة الكهف .و٤٨ من سورة مريم . و٧٢ من سورة النمل .و٩ ،و٦٧ من سورة القصص . و١١ من سورة الحجرات (مرتين).

٣٨. جامع البيان ٢/٣٥٨.

٣٩. التفسير الكبير ٦/٢٥-٢٦. وينظر:الجامع لأحكام القرآن ٣/١٦٨.

٤٠. إملاء ما منّ به الرحمن ١/٥٤. وينظر:إعراب القرآن الكريم – أ. د. محمد الطيب الإيراهيم /٣٤.

٤١. البحر المحيط ٢/١٤٣.

٤٢. الميزان ٢/١٧٣.

٤٣ـ مواهب الرحمن ٣/٢٧٨.

٤٤. إعراب القرآن الكريم وبيانه ١/٣٢٠. وينظر:إعراب القرآن الكريم – أ. د. محمد الطيب الإيراهيم /٣٤.

٤٥. بقية المواضع هي في الآيات الآتية : ٩٩ من سورة النساء .و٥٢ من سورة المائدة .و١٢٩ من سورة الأعراف. و١٨ ،و١٠٢ من سورة التوبة .و٨٣ من سورة يوسف .و٨ من سورة الإسراء . و٤٠ من سورة الكهف .٢٢ من سورة القصص .و٧ من سورة الممتحنة . و٥ و٨ من سورة التحريم .و٣٢ من سورة القلم.

٤٦. مجاز القرآن ١/١٣٤.وينظر:إعراب القرآن – النحاس ١/٢٣٥.

٤٧. التبيان في تفسير القرآن ٣/٢٧٥-٢٧٦.

٤٨. مجاز القرآن ١/٧٧.

٤٩. معاني القرآن وإعرابه ١/٢٧٨-٢٧٩. وينظر:إعراب القرآن الكريم – أ. د. محمد الطيب الإيراهيم /٤٠.

[٥٠] ورد في الأصل : بكسر العين ، وأحسبه سهوًا ، والصواب ما أثبتناه ؛ إذ لم يذهب إلى حركة العين أحدٌ.

٥١ـ إعراب القرآن ١/١٢٥. وينظر:إعراب القرآن الكريم – أ. د. محمد الطيب الإيراهيم /٤٠.

٥٢. الكشاف ١/١٣٣.

٥٣. التفسير الكبير ١٥٤/٦. وينظر:إملاء ما منّ به الرحمن ٦٠/١. الجامع لأحكام القرآن ٣٢٤/٤.

٥٤. ما ذكره أبو حيان أنّ (عسى) للتراخي قولٌ فيه نظر؛ وذلك من وجهَين ، أحدهما : لم يقل به أحدٌ قبله ولا بعده . وثانيهما : أنّ التراخي يرافق حصول أحداثًا يتراخى بعضها عن وقوع بعض – الخبر وغيره – ، وهنا لم يكن من تلك الأحداث ما حصل ، ثم تلاها آخر بزمان طال ،أو قصر .

٥٥. البحر المحيط٢/٢٥٥-٢٥٦.

٥٦. الميزان٢/٢٩٩.

٥٧. مواهب الرحمن٤/١٢٤.

٥٨. إعراب القرآن الكريم وبيانه٣٦٥/١ . وينظر:إعراب القرآن الكريم – أ. د. محمد الطيب الإيراهيم /٤٠.

٥٩. قول النحاس في جواز مجيء خبرها اسمًا منصوبًا قول فيه نظر؛ إذ أجمع الجمهور على منعه ، وعدّوا ما جاء منه من كلام العرب شاذًّا ، وتأوّلوه .

٦٠. إعراب القرآن١٨٣/٤-١٨٤. وينظر:إعراب القرآن الكريم – أ. د. محمد الطيب الإيراهيم /٥٠٩.

٦١. الكشاف١١٥١/٤.وينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه٢٢١/٩.

٦٢. التفسير الكبير٥٨/٢٨-٥٩. وينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه٢٢١/٩.

٦٣. البحر المحيط٨٢/٨.

٦٤. الميزان٢٦٠/١٨-٢٦١

٦٥. في ظلال القرآن٣٢٩٧/٦.